

قراءة المقالة الموضوعية

صانعو الحضارة العربية:
نقولا زيادة

إعداد: أ.د. محمد عبيد الله



أعزائي الطلبة

أرحب بكم في لقاء جديد من لقاءات مهارة القراءة. نقرأ اليوم مقالة ممتعة للمؤرخ والأديب العربي الراحل **(نقولاً زيادة)**، من سلسلة مقالات أرّخ فيها -بأسلوب أدبي مبسّط- لصانعي الحضارة العربية الإسلامية؛ كالقاضي، والصانع، والطبيب، والفقير، والتاجر، والمعلم، والزارع. وقد اخترنا مقالته التي عرض فيها لوظيفة **"الطبيب"**. وعرّف من خلال ذلك بمراحل بارزة من تطوّر الطب ومكانته في الحضارة العربية الإسلامية. دعونا أعزائي الطلبة، نبدأ أولاً بالتّعرف على هذه المقالة المفيدة.



صانعو الحضارة العربية: الطبيب

أسماءٌ كثيرةٌ عرفها العالم من رواد الأطباء العرب، من أشهرهم: حنين بن إسحاق صاحب كتاب **(عشر مقالات في العين)**، وقسطا بن لوقا البعلبكي مؤلف كتاب **(رسالة في تدبير سفر الحج)**، والرازي مؤلف كتاب **(الحاوي في الطب)**، وهو مكتشف الفرق بين الحصبة والجدرى. وكذلك عرف العالم أبا القاسم الزهراوي الأندلسي مؤلف كتاب **(التصريف لمن عجز عن التأليف)**. وفي مجال الصيدلة وعلم الأدوية يعد ابن البيطار شيخ الصيدلة المسلمين من خلال كتابه **(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)**. كما اعتنى أبو الريحان البيروني بالصيدلة والطب ضمن اهتماماته المتشعبة، ووضع كتاباً موسوعياً عنوانه **(الصيدلة في الطب)**.



في القرن الخامس الهجري

بلغ الطب العربي نضجه بما بلغه ابن سينا من شهرة من خلال كتابه الشهير (القانون في الطب)، وبلغ الكتاب شهرة واسعة، ولم ينل أيُّ كتاب طبي من العناية ما لقيه هذا الكتاب، فكان من أوائل الكتب العلمية التي لاقَت الاهتمام في الشرق والغرب، فترجم وطبع بمختلف اللغات، وظل يستعمل مرجعاً لدراسة الطب في كثير من المعاهد الأوروبية حتى القرن السابع عشر الميلادي. وهو اليوم من أمهات الكتب في دراسة تاريخ الطب في العصر الوسيط.



(البيمارستان)

أما المستشفى فقد كان يسمى قديماً: (البيمارستان)، وهي كلمة دخيلة عن اللغة الفارسية، ولعل أقدم (بيمارستان) هو الذي أنشئ في أيام هارون الرشيد، ثم كثرت المستشفيات وجمع فيها بين التعليم والتدريب والعلاج، كما عرف العرب عدداً من التخصصات الطبية؛ كالجراحة، وطب العيون، والطب الباطني وغيرها. وتمكّن الطبيب ابن النفيس من اكتشاف الدورة الدموية الصغرى؛ نتيجة لتعليل منطقي عقلي من دون الاعتماد على التشريح. فقد تأخرت ممارسة التشريح لأسباب تتعلق بجرمة الجسد الإنساني واحترامه، ولتأخر الفقهاء في تفهم أهمية التشريح، والسماح بممارسته، والإفتاء بجواز لجوء الطبيب إليه.



مؤسسة طبيّة متكاملة

كان مؤسسة طبيّة متكاملة وكان القائمون على (البيمارستان) فيهم الطبيب، والكحّال، والجراح، والصيدلي، والممرّض، والمعاون وغير ذلك من وظائف لازمة، أي أنه كان مؤسسة طبيّة متكاملة لها دورها في تطوير الطب وخدمة المرضى، وأكثر المؤلفات في الطب والصيدلة وُضعت في أجواء هذه المؤسسات وبأقلام أطباء وصيدلانيّ جمعوا بين العمل والعلم والإيمان، فكانوا رواداً في مجال الطب العملي.



(اليبرودي)

أما (اليبرودي) فطبيب وصيدلاني شامي مشهور، نُسب إلى ضيعة قريبة من مدينة دمشق اسمها (يبرود)، وقد روى قصةً طريفة عن بدء تعلمه وولعه بالطب، حتى برع فيه فيما بعد.
قال:

"كنت في صباي أحمل الشيخ من ضيعتي (يبرود)، وأبيعه في دمشق. وكنت يوماً أقود دابّتي وعليها حملها من الشيخ، فمررت بالفاسد أبي الخير وقد فصد شاباً، ف وقعت الفصدة في الشريان، وطلب قطع الدم فلم يقدر على ذلك، فلما رأته على تلك الحال أشرتُ عليه بأن يفصده في اليد الأخرى ويسدّ الفصد الأول، ثم يعود للثاني فيسده، ففعل ووقف الدم.



فتشبّث بي أبو الخير وسألني عما أمرته به، فأخبرته أنني أرى أبي في وقت سقي الكرم، إذا انفتح شِقٌّ من النهر وخرج منه الماء، لا يقدر على إمساكه حتى يفتح شِقًّا آخر يُنقص به الماء الأولَ الواصلَ إلى ذلك الشِقِّ، ثم يسدُّه بعد ذلك. فلما سمع أبو الخير ذلك منعني من بيع الشيخ، وعلمني صناعة الطب، فتبصّرتُ بأشياء منه، وصارت لي معرفة بالقوانين العلمية".

**(نقولا زيادة، إيقاع على أوتار الزمن، كتاب
العربي، 2002، ص185، بتصرف)**

* * *



إضاءة: نقولا زيادة: تعريف موجز

نقولا زيادة (1907-2006): أستاذ جامعيّ، ومؤرّخ، وأديب عربي مشهور، من مواليد دمشق عام 1907 لأبوين من مدينة الناصرة-فلسطين. درس في دمشق وفلسطين، وأكمل دراسته في الكلية العربية في القدس، ثم انتقل إلى لندن حتى حصل على الدكتوراه في التاريخ والحضارة عام 1950م. عمل أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي جامعات عربية وعالمية.



ألف أكثر من أربعين كتاباً، وواظب على الكتابة في الصحف والمجلات لعقود طويلة، مؤمناً بأهمية تقديم الثقافة والمعرفة لجميع الناس، من خلال الوسائل الإعلامية المتاحة.

ويُعيد رحيله نظمت مؤسسة عبد الحميد شومان (الأردن) ندوة علمية لتكريم المؤرخ الراحل بإشراف المؤرخ الأردني محمد عدنان البخيت، ونشرت أعمالها وأوراقها في كتاب مرجعي هام بعنوان: (نقولا زيادة في ميزان التاريخ).



مؤلفات الأطباء والصيدلة المسلمين

زوّدنا المقال بمعلومات قيّمة عن تاريخ الطب عند العرب، ومن ذلك ما ورد فيه من عناوين الكتب التي ألفها الأطباء والصيدلة العرب، سنراجع بعض أسماء هؤلاء فيما يلي:



اسم الكتاب	الطبيب/المؤلف
عشر مقالات في العين	حنين بن إسحاق
رسالة في تدبير سفر الحجّ	قسطا بن لوقا البعلبكي
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية	ابن البيطار
الحاوي في الطبّ	أبو بكر الرازي
القانون في الطب	ابن سينا
التصريف لمن عجز عن التأليف	أبو القاسم الزهراوي
كتاب الصيدلة في الطبّ	أبو الريحان البيروني



عيون الأنباء في طبقات الأطباء :

يمكنك عزيزي الطالب أن تعود إلى شبكة الإنترنت أو كتب الموسوعات العلمية، وتجمع معلومات مفيدة حول بعض العلماء والأطباء العرب، كما يمكن أن تعود لمصادر متخصصة في مقدمتها كتاب بعنوان: (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة.

وهو كتاب متخصص في التعريف بالأطباء العرب والمسلمين، بل يعرف بأطباء الحضارات الأخرى اليونانية والفارسية والهندية والسريانية..

ويعدّ أشهر الكتب وأوفاهها في تراجم الأطباء. والمؤلف نفسه كان طبيباً ممارساً إبان حكم الدولة الأيوبية في القرن السابع الهجري، إلى جانب تأريخه لهذا الحقل العلمي الهام.



وعرّف في الكتاب بما يزيد على 400 طبيب وحكيم من العرب والمسلمين، أو من الحضارات التي تأثروا بها، وأفادوا منها، من أطباء اليونان، والرومان، والهند، وبلاد فارس، ومن النصارى والسريان وغيرهم.

نتوقع منك أن لا تفوت الفرصة، وأن تعود إلى هذا الكتاب الذي وصل إلى عصرنا وطبع طبعات حديثة أنيقة، وأن تؤوب منه بترجمة لواحد من الأطباء القدامى الذين عرّف ابن أبي أصيبعة بجهودهم ودورهم في تاريخ الطب أو الصيدلة.



المعجم والثروة اللغوية من ألفاظ الحضارة والطب والحياة العامة:

الصيدلة

عرّف أبو الريحان البيروني كلمة: الصيدنة (الصيدلة) وصيدناني (صيدلاني)، وذهب أنها معرّبة عن جندل وجندناني، وهما كلمتان هندية الأصل، تعبّران عن بائع العطور والأعشاب والأدوية، والقائم بمزجها، وقد قلبت الجيم في العربية إلى صاد، فصارت صندل، ولكن البيروني فضّل لفظ: الصيدلة في تسمية المهنة، وهو اللفظ الذي ما زلنا نعتمده في العربية حتى اليوم. وتعريف الصيدلاني عنده بأنه: "المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها، واختيار الأجود من أنواعها، مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها مبرّزو أهل الطب".



عقار

أما كلمة عقار وجمعها عقاقير، فذهب أبو الريحان البيروني أن أصلها سرياني تعني الجرثومة، وتعني الدواء القاسي عليها، وقد قسم العقاقير إلى ثلاثة أنواع: الأدوية، الأغذية، السموم. وكل منها فيه ما هو مفرد وما قد يكون مركباً. وأن الدواء السمي يحتاج إلى محترف بارع مجرب حتى يخفف أثر السم، ويحصل على فائدته للجسم العليل. وعند العرب يسمي الدواء السمي ترياقاً، وكان يؤخذ قديماً من سموم الحيات والأفاعي.

وفي القانون ونظام الملكية: عقار وعقارات، وتعني الأراضي والمباني وجميع أنواع الممتلكات الثابتة التي لا يمكن نقلها، وكل ما يرتبط بها من حقوق. وقد تسمى اليوم في بعض القوانين: (الأموال غير المنقولة) أي الممتلكات التي لا يمكن نقلها، فهي ثابتة في أماكنها.



الترياق:

كلمة معرّبة عن الفارسية منذ القديم، تعني الدواء المضاد للسموم، وهو يستخرج من السموم ذاتها، فيكون دواءً وفق تركيبات طبية دقيقة.

الضيعة:

جمعها ضياع. وتعني: الأرض المغلّة الزراعية، وقد تعني القرية الزراعية.



الشيخ:

نبات عطري عشبي، دقيق الأوراق والأزهار، من الفصيلة النجمية. يعد من النباتات الطبية والعطرية التي استعملت قديماً وحديثاً في معالجة بعض الأمراض.

بیمارستان:

لفظة طبية معربة، أخذها العرب قديماً عن الفارسية، واستعملت اسماً لمكان معالجة المرضى (المستشفى)، معناها بالفارسية: محل المريض أو مكانه. فمعناها الحرفي إذن: مكان معد لإقامة المرضى ومعالجتهم، تجمع على: (بیمارستانات).



كَرْم:

وجمعها كروم، وهي تعني بستان العنب خاصّة، ومصدر التسمية كما يبدو التفاضل بطيبة الأرض وجودها ليكون عطاؤها خيراً.

الفصد:

الفصد لغة هو الشقّ. ويقصد بالفصد شق جزء من الجسم لإخراج الدم من شريان أو عرق معين، وهو إجراء طبّي قديم أهدى إليه الأطباء ومارسوه بكفاءة ودقة. يسمى من يمارس هذا النوع من التطبيب: فاصد، ومر بنا في المقالة: أبو الخير الفاصد.



التشريح:

إجراء طبي جراحي يقوم على فحص جثة المتوفى ومعاينتها،
لدراسة تراكيب أجهزة الجسم وبنيتها، وملاحظة أي أمر غير
طبيعي فيها، ويشيع استعماله اليوم في الطب الشرعي
والجنائي. عرفه اليونان منذ القديم، وعرفه الأطباء المسلمون
بعد ذلك، ولكنهم تحرّجوا مدة طويلة من مبدأ الاعتداء على
الجسد وتمزيق الجثة، إلى أن أفتى الفقهاء بجواز ذلك
للضرورة.



تعديل الصياغة: من المتكلم إلى الغائب

القصة الطريفة التي رواها اليرودي جاءت بضمير المتكلم، لو أردنا أن نرويها بضمير الغائب، كيف يمكن أن نصوغها؟ أهم التغييرات ستلحق بالضمائر حتى تتبدل من المتكلم إلى الغائب، حاول أن تكتب الفقرة بصيغتها الجديدة وحدك، ثم تابع معنا الصيغة الملائمة بعد قليل.

هذه هي الصياغة الأولى، بضمير المتكلم، كما رواها اليرودي عن نفسه، دقق فيها جملة جملة وحاول أن تفكر فيها بصورة جديدة، وذلك بافتراض راوٍ آخر يقدمها، فبدلاً من: كنت في صباي أحمل الشيخ من ضيعتي... نبدأ ب: كان اليرودي في صباه يحمل الشيخ من ضيعة... اقرأ النص وأعد صيغته على هذا المنوال.



كنت في صباي أحمل الشيخ من ضيعتي (يبرود)،
وأبيعه في دمشق. وكنت يوماً أقود دابّتي وعليها حملها
من الشيخ، فمررت بالفاسد أبي الخير وقد فسد شاباً،
فوقعت الفصدة في الشريان، وطلب قطع الدم فلم يقدر
على ذلك، فلما رأته على تلك الحال أشرت عليه بأن
يفصده في اليد الأخرى ويسدّ الفصد الأول، ثم يعود
للثاني فيسده، ففعل ووقف الدم.



فتشبّث بي أبو الخير وسألني عما أمرته به،
فأخبرته أنني أرى أبي في وقت سقي الكرم، إذا
انفتح شقّ من النهر وخرج منه الماء، لا يقدر
على إمساكه حتى يفتح شقّاً آخر يُنقص به الماء
الأول الواصل إلى ذلك الشقّ، ثم يسدّه بعد ذلك.
فلما سمع أبو الخير ذلك منعي من بيع الشيخ،
وعلمني صناعة الطب، فتبصّرتُ بأشياء منه،
وصارت لي معرفة بالقوانين العلمية".



والآن هل انتهت من عملك؟
يمكننا أن نصوغ الفقرة على النحو التالي، حيث نفترض أن
شخصاً ما يروي القصة، وليس البيرودي:

كان البيرودي في صباحه يحملُ الشيخَ من ضيعته
(بيرود)، ويبيعهُ في (دمشق). وكان يوماً يقود
دابته، وعليها حملها من الشيخ، فمرَّ بالفصدِ
أبي الخير، وقد فصد شاباً، فوقعَت الفصدَةُ في
الشریان، وطلب قطع الدم فلم يقدرُ على ذلك،
فلما رآه البيرودي على تلك الحال أشار عليه بأن
يفصده في اليد الأخرى، ويسدَّ الفصد الأول، ثم
يعود للثاني فيسده، ففعل ووقف الدم.



فتشبت به أبو الخير وسأله عما أمره به، فأخبره أنه يرى أباه في وقت سقي الكرم، إذا انفتح شقّ من النهر وخرج منه الماء، لا يقدر على إمساكه حتى يفتح شقاً آخر يُنقص به الماء الأول الواصل إلى ذلك الشقّ، ثم يسدّه بعد ذلك. فلما سمع أبو الخير ذلك منعه من بيع الشيخ، وعلمه صناعة الطب، فتبصر بأشياء منه، وصارت له معرفة بالقوانين العلمية".



الفهم من خلال الأسئلة القصيرة:

يمكن أن نختبر فهمك للنص من خلال الأسئلة القصيرة
الآتية:

السؤال الأول:

مكتشف الفرق بين الحصبة والجذري هو الطبيب:

أ.ابن سينا ب.الرازي ج.ابن البيطار د. البيروني



السؤال الثاني:

"التشريح" في الطب العربي القديم:

أ. بدأ مبكراً مع بدايات الطب العربي، لتوفر أدوات الجراحة

ب. تأخر كثيراً لعدم صناعة أدوات الجراحة مبكراً

ج. لم يمارسه العرب حتى اليوم احتراماً لجسد الإنسان وجثته.

د. تأخرت ممارسته بسبب تأخر الإفتاء الفقهي بجواز التشريح



السؤال الثالث:

ينتسب البيرودي إلى أحد الأقاليم العربية التالية:

أ.العراق ب.الشام ج.الأندلس د.مصر



السؤال الرابع:

(ابن البيطار شيخ الصيدلة المسلمين)، تعني في ضوء السياق:

أ.المعلّم والأستاذ الذي تعلموا منه وأخذوا العلم عنه.

ب.يقترن معناها على الكبر في السنّ.

ج.الإمام الذي كان يؤمّمهم في الصلاة.

د.الصيدلة هنا كأنهم قبيلة أو عائلة وهو زعيمها القبليّ.



السؤال الخامس:

مكتشف الدورة الدموية الصغرى هو الطبيب:

أ.ابن سينا

ب.الرازي

ج.ابن النفيس

د.الزهرابي



السؤال السادس:

كتاب القانون في الطب من أمهات الكتب الطبية،
معنى أمّهات الكتب:

أ.الكتب القديمة التي فقدت أهميتها.

ب.المصادر الأصلية التي تولّدت عنها الكتب اللاحقة
وأفادت منها.

ج.أمهات جمع أمّة، فهي كتب عالمية أو أممية.

د.الكتب الحديثة التي تتمثل قيمتها في حداثة
معلوماتها.



السؤال السابع:

إحدى الوظائف التالية ليست وظيفة طبيّة:

أ. صناعة الأدوية

ب. بيع الشّيح

ج. الفصد

د. الجراحة



السؤال الثامن:

أفاد البيروني في اقتراحه حول قطع الدم بعد الفصد من:

أ. أفاد من خبرته الطبية السابقة، فقد تعلم الطب في قرية بيروند.

ب. أفاد من خبرته الزراعية والفلاحية، واستنتج طريقة إيقاف الدم من طريقة السيطرة الماء في الحقل.

ج. قرأ طريقة المعالجة في كتاب طبي ثم طبقها على المريض.

د. أخذ طريقة العلاج من أبي الخير الفاصد لخبرته في هذا المجال.



السؤال التاسع:

عبارة (داوني بالتي كانت هي الداء) تنطبق على واحد مما يلي:

أ. الشيخ

ب. البيمارستان

ج. الثرياق

د. الفصد



السؤال العاشر:

أحد الألفاظ التالية ليس من ألفاظ الطب والصيدلة:

أ. عقارات

ب. عقاير

ج. بيمارستان

د. تشريح



إلى هذا الحد ينتهي لقاءنا اليوم، على أمل اللقاء
بكم في درس جديد من دروس القراءة العربية

وإلى اللقاء

